

## الدرس التاسع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،  
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .  
أما بعد ..

### الحديث العشرون

عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البصري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت "

رواه البخاري

### الشرح..

هذا الحديث في بيان خلة عظيمة ، وخصلة مباركة ، وشعبة جليلة من شعب الإيمان ؛ ألا وهو الحياء ؛ ذلكم الخلق العظيم الجليل الذي هو شعبة من شعب الإيمان وخصلة من خصاله العظام ، وقد صح عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال " الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من شعب الإيمان " .

والحياء مكانه القلب ؛ فهو عمل من أعمال القلوب وشعبة من شعب الإيمان القلبية ، وهذه الشعبة من الإيمان إذا وجدت في القلب ؛ استقامت الجوارح على الأخلاق الفاضلة ، والآداب الكاملة والمعاملات الحسنة الجميلة . وإذا نُزع الحياء من القلب ترتب على ذلك شر عظيم وفساد عريض .

والحياء خصلة متوارثة منذ القدم ، وجميع الأنبياء دعاة إلى هذه الخلة العظيمة والخصلة المباركة ، وهي خصلة عرفها الناس قديماً ودعا إليها جميع الأنبياء ؛ ولهذا جاء في الحديث أن النبي عليه الصلاة والسلام قال " إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت " أي من الأمور

أو الخصال التي أدركها الناس من كلام النبوة الأولى ؛ وقوله النبوة : دخول " ال " التعريف هنا تفيد العموم فالمراد نبوة جميع الأنبياء .

والمراد بـ"الأولى" أي التي سبقت نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام ؛ وهذا شامل لكل نبوة قبله؛ فالأنبياء كلهم دعاة إلى هذه الخصلة .

ومما أدرك الناس من كلام الأنبياء السابقين ، أي من بقايا كلام الأنبياء التي بقيت محفوظة ومتداولة بين الناس " إذا لم تستح فاصنع ما شئت "

وهذا فيه بيان مكانة الحياء ، وفيه تأثير هذه الخصلة على الإنسان سواءً إن وُجدت أم لم توجد ، فوجودها فيه تأثير عليه بخير وعدم وجودها فيه تأثير عليه بشر ؛ ولهذا قول النبي عليه الصلاة والسلام " إذا لم تستح فاصنع ما شئت " يحتمل أحد معنيين :

الأول : معنى يُحمد في الإنسان والآخر معنى يُذم فيه الأول وهو الذي يحمد : معناه إذا لم يكن الأمر الذي ستفعله وتبشره مما يُستحيا منه فافعله ولا حرج ؛ فقوله " فاصنع ما شئت " فيه إباحة العمل وجواز فعله ما دام أنه لا يستحيا منه وليس من الخصال التي يُستحيا منها .

المعنى الآخر " فاصنع ما شئت " ؛ أي أن الحياء إذا نُزع من الإنسان ولم يوجد فيه فإنه سيفعل ويصنع ما شاء من الأعمال دون مبالاة ودون اهتمام ؛ وهذا المعنى مذموم في الإنسان ، والإنسان المنزوع منه الحياء لا يبالي بالأمور التي يفعلها فهو يفعل ما شاء دون وازع قلبي يردعه ويمنعه من فعل العمل .

والحديث عموماً يفيد فضل الحياء ، وعظم أثره على الإنسان وأنه خصلة كريمة اجتمع على الدعوة إليها جميع الأنبياء ، وأنه خصلة لها تأثيرها العظيم على الإنسان ؛ فإذا كان الإنسان من أهل الحياء فحياءه لا يأتيه إلا بخير - كما جاء في الحديث الآخر أن النبي عليه الصلاة والسلام رأى شخصاً يعظ أخاه في الحياء ؛ فقال " دعه فإن الحياء لا يأتي إلا بخير " ، وفي بعض الروايات " فإن الحياء خير كله " . وأما إذا نزع الحياء من الإنسان فإنه يهلك في أودية الضلال ويقع في دروب الباطل ، وإذا وجد فيه الحياء منعه بإذن الله عز وجل وأصبح من أهل الفضائل وأهل الأعمال الطيبة وأهل البعد عن الأعمال الذميمة القبيحة .

قال الشيخ عبد المحسن :

[ الأول : الحديث يدل على أن الحياء ممدوح ، وكما هو في هذه الشريعة فهو في الشرائع السابقة وأنه من الأخلاق الكريمة التي توارثتها النبوات حتى انتهت إلى هذه الأمة ، والأمر فيه للإباحة والطلب إذا لم يكن المستحي منه ممنوعاً شرعاً ، وإن كان ممنوعاً فهو للتأديب أو أن مثل ذلك لا يحصل إلا ممن ذهب حياؤه أو قل ، قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم : قوله صلى الله عليه وسلم "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى " يشير إلى أن هذا مأثور عن الأنبياء المتقدمين ، وأن الناس تداولوه بينهم وتوارثوه عنهم قرناً بعد قرن ؛ وهذا يدل على أن النبوة المتقدمة جاءت بهذا الكلام وأنه اشتهر بين الناس حتى وصل إلى أول هذه الأمة .. إلى أن قال وقوله " إذا لم تستح فاصنع ما شئت " في معناه قولان : أحدهما أنه ليس بمعنى الأمر أن يصنع ما شاء ؛ ولكنه على معنى الذم والنهي عنه ، وأهل هذه المقالة لهم طريقان : أحدهما أنه أمرٌ بمعنى التهديد والوعيد ، والمعنى : إذا لم يكن لك حياءٌ فاعمل ما شئت فإنه الله يجازيك عليه كقوله { اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير } ، وقوله { فاعبدوا ما شئتم من دونه } ؛ وهذا اختيار جماعة منهم أبو العباس . والطريق الثاني أنه أمرٌ ومعناه الخبر ، والمعنى أن من لم يستحي صنع ما شاء فإن المانع من فعل القبائح هو الحياء ، ومن لم يكن له حياءٌ انهمك في كل فحشاء ومنكر ، وما يمتنع من مثله من له حياءٌ على حد قوله صلى الله عليه وسلم " من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار " ؛ فإن لفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر ، وأن من كذب عليه تبوأ مقعده من النار ، وهذا اختيار أبي عبيد القاسم بن سلام رحمه الله وابن قتيبة ومحمد بن نصر المروزي وغيرهم ، وروى أبو داود عن الإمام أحمد ما يدل على مثل هذا القول .

والقول الثاني في معنى قوله " إذا لم تستح فاصنع ما شئت " : أنه أمرٌ بفعل ما يشاء على ظاهر لفظه ، والمعنى : إذا كان الذي تريد فعله مما لا يستحي من فعله لا من الله ولا من الناس لكونه من أفعال الطاعات أو من جميل الأخلاق والآداب المستحسنة فاصنع منه حينئذ ما شئت ، وهذا قول جماعة من الأئمة منهم : أبو إسحاق المروزي الشافعي وحكي مثله عن الإمام أحمد .

الشرح ..

هذا الحديث جاء في مساق بيان فضل الحياء وبيان عظمة هذه الخلة وأنها من الخصال التي اجتمع على الدعوة إليها جميع الأنبياء ، وأنها من الخصال التي توارثها الناس وتواردت بينهم و تناقلوها حتى أدركها أوائل هذه الأمة من بقايا ما ينقل عن الأنبياء مما بقي لم يزل لم يتغير ؛ وهذا فيه فضل الحياء وعظيم مكانته .

وقوله " إذا لم تستح فاصنع ما شئت " : هذه كما بين الحافظ بن رجب رحمه الله تعالى لأهل العلم في معناه قولان : أحدهم أنه ليس بمعنى الأمر أن يصنع ما شاء ولكنه على معنى الذم والنهي ؛ فقولُه فاصنع ما شئت نضير قوله جل وعلا { اعملوا ما شئتم } هذا تهديد .

إذاً قوله صلى الله عليه وسلم "إذا لم تستح فاصنع ما شئت" : لم يأت في مساق الأمر والإباحة ؛ وإنما جاء في مساق الذم والنهي . ومن يقولون ذلك لهم في فهم الحديث بهذا الاعتبار أو بهذا المعنى طريقتان :

الطريقة الأولى أن ذلك جاء في مقام التهديد والوعيد " إذا لم تستح فاصنع ما شئت " أي إذا لم تكن من أهل الحياء فاعمل من الأعمال ما شئت والله سيحاسبك ، والله سيعاقبك ؛ فيكون المقام مقام التهديد والوعيد ، وهذا له نضائر في القرآن كقوله سبحانه وتعالى { اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير } ، { اعبدوا ما شئتم من دونه } فهذا كله في مقام التهديد والوعيد .  
الطريقة الثانية : أنه أمرٌ ومعناه الخبر " إذا لم تستح فاصنع ما شئت " : أي أن من لا يستحي سيصنع ما يشاء ولا يبالي فهو أمر بمعنى الخبر ؛ أي إخبار عن واقع من لا يستحي .

القول الثاني في معنى الحديث أنه أمرٌ بفعل ما يشاء . على ظاهر لفظه . فقولُه " فاصنع ما شئت " أمرٌ بفعل ما يشاء ، ويكون الأمر للإباحة والجواز ؛ معنى " فاصنع ما شئت " أي يجوز لك أن تصنع ما شئت من الأعمال ما دام أن الأمر لا يستحي منه ، لا من الله ولا من عباده ؛ أي أن الأمر أمامك واسع ، افعل ما شئت من الأعمال ما دامك بهذا الضابط - لا يستحي فيها لا من الله ولا من عباده . .

**وقال رحمه الله تعالى :**

**[واعلم أن الحياء نوعان أحدهما ما كان خلقاً وجبلاً غير مكتسب ، وهو من أجل الأخلاق التي يمنحها الله العبدَ ويحبها عليها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم " الحياء لا يأتي إلا بخير " ؛ فإنه يكف عن**

ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق ، ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليتها ، فهو من خصال الإيمان بهذا الاعتبار.

والثاني : ما كان مكتسباً من معرفة الله ومعرفة عظمتة وقربه من عباده واطلاعه عليهم وعلمه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور ؛ فهذا من أعلى خصال الإيمان بل هو من أعلى درجات الإحسان ، وقد يتولد الحياء من الله من مطالعة نعمه ورؤية التقصير في شكرها ، فإذا سلب العبد الحياء المكتسب الغريزي لم يبق له من يعمل به من ارتكاب القبائح والأخلاق الدنيئة ، فصار كأنه لا إيمان له [ .

الشرح..

هنا يبين الحافظ بن رجب رحمه الله تعالى أن الحياء نوعان : نوع غريزي وجبلي يطبع عليه العبد ويجبل عليه ، وينشأ من صغره ومن نعومة أظفاره وهو على الحياء ؛ فهذا يقال عنه حياء جبلي . يعني طبع عليه الإنسان ونشأ عليه . ولهذا أحياناً يوصف بعض الصغار منذ صغره بهذا لما يلاحظ عليه في محيط أهل وقرابته من حياء شديد منذ نشأته . فالحياء جانب منه أو نوع منه جبلي يمن الله سبحانه وتعالى به على عبده ؛ قد قال عليه الصلاة والسلام لأشج عبد القيس " إن فيك خصلتان - أو خلتان - يحبهما الله ورسوله الحلم والحياء أو قال الأناة والحياء " .

وسأل هل هي مكتسبة أو جبله الله سبحانه وتعالى عليها ؛ قال " بل جبلك الله عليها " . فالحياء منه ما هو جِبَلِي ينشأ مع الإنسان، وتكون خصلةً طبع عليها الإنسان وينشأ على هذه الخصلة ، وهو أمرٌ يكون في القلب يكف عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق ، ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليتها ؛ ويمكن أن نعطي تعريفاً جميلاً للحياء بحيث لو قيل ما هو الحياء ؟ نقول : الحياء خصلة قلبية يترتب عليها الكف عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق ، ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليتها .

والنوع الثاني مكتسب : يكتسبه العبد ويحصله بالمجاهدة ، يجاهد نفسه على تقوية الحياء في قلبه ببذل الأسباب المعينة على ذلك ، وأعظم ما يعين على ذلك وأساسه معرفة الله جل وعلا ، ومعرفة عظمتة وقربه من عباده واطلاعه عليهم ، وعلمه بخائنة الأعين وما تخفي الصدور ؛ فالعبد إذا قوى في قلبه هذه المعرفة زاد حياؤه من الله جل وعلا ، وقد قال جل وعلا { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } ، فالعبد كلما كان بالله أعرف كان حياؤه منه أشد

وحبه له أعظم ومراقبته له أقوى ، وكفه عن معاصيه أقوى ، وحرصه على طاعته وما يقرب إليه سبحانه وتعالى . والعبد يستطيع بإذن الله أن يكتسب الحياء مثل ما مر معنا قول النبي صلى الله عليه وسلم "إنما العلم بالتعلم وإنما الحلم بالتحلم ومن يتحرى الخير يُعطه ومن يتوق الشر يوقه" ؛ فالعبد إذا تحرى لنفسه هذا الخلق وسأل الله سبحانه وتعالى العون على ذلك ، وبذل الأسباب من معرفة الله وعظمته وجلاله ؛ فإنه بإذن الله تبارك وتعالى يكون من أهل هذا الخلق العظيم الجليل .

وقد جاء في حديث رواه الترمذي - وهو حديث حسن - أن النبي عليه الصلاة والسلام قال " استحيوا من الله حق الحياء " فقالوا إنا لنستحي من الله ؛ قال " الحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى وأن تذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة لم تلعه . أو لم تشغله . زهرة الحياة الدنيا " فذكر أموراً أربعة صلوات الله وسلامه عليه بيّن فيها حقيقة الحياء من الله سبحانه وتعالى ، وأن الحياء منه ليس أمراً يدعيه الإنسان ادعاءً مجرداً ؛ لأنه من السهل على الإنسان أن يقول عن نفسه إنني أستحي من الله هذه كلمة سهلة أن يقولها بلسانه ؛ لكن تحقيق الحياء من الله وتتميم هذا المقام ؛ هذا يتطلب من العبد أموراً ، إذا فعلها حقق فعلاً الحياء من الله سبحانه وتعالى ، وقد جمعها النبي صلوات الله وسلامه عليه في هذا الحديث ؛ قال : " أن تحفظ الرأس وما وعى " : فهذا الأمر الأول ، والرأس هو أشرف ما في البدن ، وفيه السمع وفيه البصر وفيه اللسان كل هذه الحواس مجتمعة في الرأس ؛ وهذا فيه أن الحياء من الله يتطلب من الإنسان أن يحفظ سمعه وبصره ولسانه وأن يحفظ رأسه عموماً من كل أمرٍ يسخط الله ويغضبه .

أما الإنسان الذي لا يبالي ، يستمع إلى الحرام بأذنه ، وينظر إلى الحرام بعينه ، ويتكلم بلسانه بالحرام وهو على علم بأن الذي أعطاه اللسان وأعطاه السمع وأعطاه البصر يراه ويطلع عليه ويسمع كلامه ويرى مقامه وحركاته وسكناته ويبصره سبحانه وتعالى ؛ فأين حقيقة الحياء من الله جل وعلا ؟ أو أن تكون حاله أن يستخفي من الناس ولا يستخفي من الله ؛ أين حياؤه من الله سبحانه وتعالى ؟! يقول تعالى { يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول } .

فالحياء من الله يتطلب من العبد أن يجتهد في حفظ هذه الحواس ، وفي زماننا هذا . زمان الفتن الكثيرة العاصفة الجارفة . يحتاج المؤمن أن يقوي فعلاً في قلبه الحياء من الله عز وجل حتى يكون عنده ما يعينه بإذن الله تبارك وتعالى عن البعد عن هذه الآثام وهذه المحرمات وإلا في زماننا

هذا تهيأ لكثير من الناس خلوة فتحت على الكثير من الناس أبواباً من الإثم وأبواباً من الشر ؛ وهي الخلوة مع القنوات الفضائية والمواقع التي في شبكة الانترنت ؛ فيجلس الشاب أو الشابة في غرفة وحده ، ويغلق على نفسه الباب ويقول : لا أحد يراني - يعني من الناس . ويدخل في المواقع المتهتكة والإباحية، ومواقع الرذيلة والفساد ، ويطلق العنان لبصره للمحرمات فيشاهد ذلك العفن ، إلى أخس الناس وأحققرهم وأرذلهم ، ويستمتع بأذنه إلى الممارسات الباطلة والأعمال المشينة القبيحة ؛ ثم ماذا بعد هذا النظر وبعد هذا السماع ؟ ونحن نعلم أن بصر الإنسان وسمعه نافذتان إلى قلبه ؛ ولهذا قال جل وعلا {إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً} ، وأمراض القلوب تصل في الغالب الأعم من خلال السمع ومن خلال البصر ، ومعنى جلوس الإنسان أمام تلك المواقع والقنوات يشاهد تلك الآثام وتلك الأباطيل ؛ معنى ذلك أنه في طريق وخطوات لمرض قلبه وزيغته والعياذ بالله ، وفي خطوات للشيطان من خلاله يمرض القلب ، وحتى بعض الناس الذين هم في خير دخل عليه الشيطان من هذا المدخل وتورط في خطوات فتح لنفسه الباب فيها وكانت باب شر عليه ، لكن لو أن العبد إذا حصل منه مثل هذا الجلوس وإغلاق الباب ذكر اطلاع الله سبحانه وتعالى عليه ورؤيته سبحانه وتعالى له لكف ؛ ولهذا ذكر ابن رجب رحمه الله تعالى .. أن رجلاً أكره امرأة على نفسها وقال لها " غلقي الأبواب " فغلقت الأبواب ؛ قال لها : " غلقت جميع الأبواب ؟ قالت " نعم إلا باباً واحداً ما أغلقتة " قال " أي باب ؟ " ؛ قالت : " الباب الذي بيننا وبين الله " . وذكر رحمه الله تعالى أن رجلاً راود أعرابية في الصحراء وقال لها : " مما تخافين نحن في مكان لا يرانا إلا الكواكب " ؛ قالت : " وأين مكوكب الكواكب - أين مكوكبها . " ؛ ولهذا إذا أحضر الإنسان في قلبه رؤية الله له وإطلاعه عليه وعلمه به وأنه سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء؛ النفس تحجم وتمتنع ويقع فيها فعلاً حياء من الله سبحانه وتعالى ؛ ولهذا يحتاج العبد في وسط هذه الفتن المتلاطمة والأمواج العاصفة أن يقوي في قلبه الحياء من الله سبحانه وتعالى ، وأن يكون الحياء حاضراً في قلبه حتى يكفه عن القبائح والرذائل ، وحتى يسوقه إلى الفضائل والكمالات ؛ بخلاف حال من نزع منهم الحياء فأصبحوا يصنعون ما شاؤوا من الأعمال ولا يبالون ولهذا قال في النقطة الأولى بيانه عليه الصلاة والسلام للحياء قال " أن تحفظ الرأس وما وعى " : يعني احفظ الرأس بجميع مكوناته وجميع محتوياته ،

وإياك أن تفعل شيئاً في الرأس وما وعى يسخط الله عليك جل وعلا ، ويكون سبباً لغضبه سبحانه وتعالى عليك .

" والبطن وما حوى " : وهذا فيه حفظ القلب ؛ لأن من أعظم محتويات باطن الإنسان قلبه ؛ فذكر عليه الصلاة والسلام فيما يشمل ما وعاه الرأس ، وما حواه البطن القلب ؛ وهذه الثلاث حُصت بالذكر في مواضع ثلاث من القرآن منها قوله تعالى {إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئلاً} ؛ يعني سُئِلَ عن سمعك وبصرك وفؤادك .

فمن الحياء من الله حفظ باطن الإنسان وسره ، ويدخل في قوله " ويحفظ البطن وما حوى " أي أن يدخل في بطنه شيء من الحرام كأكلي محرّم أو شربٍ محرّم .

" وأن تذكر الموت والبلى " : وهذا من الأمور العظيمة والمعينة على تحقيق الحياء ، أن تذكر الموت وأن روحك ستفارق جسدك وأن جسمك هذا سيبلَى وسيكون يوماً مدفوناً تحت التراب مرهوناً بعملك ؛ فتذكر ذلك ؛ فهذا مما يعينك عوناً عظيماً على الحياء ؛ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام " تذكروا هادم اللذات " فتذكر الإنسان للموت وما بعده يعينه على الحياء ؛ لماذا ؟ لأن هذا الأمر إذا كان منك على بال إن حدثتك نفسك يوماً بمعصية أو ترك فرض أو واجب فإنك ستقول لها : يا نفس لن تبقي في هذه الدنيا ، يا نفس إنك ستلقين الله جل وعلا وستحاسبين على العمل ؛ فكلما كان على ذكر للموت ساقه هذا إلى الفضائل والكمالات ؛ ولهذا قال سبحانه وتعالى عن من يُعْطَوْنَ كتابهم باليمين ؛ قال {فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابه} أي أنني كنت في الدنيا اعتقد وأستحضر أنني سألقى الحساب ، ولا يزال العبد بخير مادام ذاكراً للحساب والمجازاة والوقوف بين يدي الله تبارك وتعالى .

والخصلة الرابعة : قال " ومن أراد الآخرة لم تلّه أو تشغله زهرة الدنيا " : فالذي أراد الآخرة بعمله لا تلّيه الدنيا ولا تقطعه في سيره إلى الله تبارك وتعالى {ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً} .

فهذا الحديث حديث عظيم جداً في بيان حقيقة الحياء من الله سبحانه وتعالى ، والحياء من الله هو أعظم الحياء الذي يُطلب من العبد أن يفعله ، وهو مقدم على الحياء من الناس .

**[ ثانياً : مما يستفاد من الحديث :**

الأول : أن خلق الحياء من الأخلاق الكريمة الماثورة عن النبوات السابقة .

الثاني : الحث على الحياء والتنويه بفضله .

الثالث : أن فقد الحياء يوقع صاحبه في كل شر .

\*.\*.\*

### الحديث الواحد والعشرون

عن أبي عمر وقيل أبي عمرة سفیان بن عبد الله رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك قال " قل آمنت بالله ثم استقم " رواه مسلم  
الشرح..

هذا الحديث من جوامع كلمه صلوات الله وسلامه عليه ؛ بل إنه عليه الصلاة والسلام جمع في هذا الحديث الدين كله في كلمتين ، وسفيان رضي الله عنه سأل سؤالاً عظيماً ، وطلب أمراً جامعاً ؛ أراد رضي الله عنه أن يجمع له النبي أو أن يذكر له النبي صلى الله عليه وسلم جماع الخير والوصايا بحيث لا يحتاج إلى سؤال بعد ذلك ، أراد كلاماً جامعاً ؛ فما طوّل له الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ بل اختصر له الدين وبيانه في كلمتين اثنتين ؛ قال " قل آمنت بالله ثم استقم " :

وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم في هاتين الكلمتين الدين كله . عقيدةً وشريعةً . لأن الدين له جانبان : جانب الاعتقاد وجانب الشرائع ؛

فجانب الاعتقاد أوجزه عليه الصلاة والسلام بقوله " قل آمنت بالله " .

وجانب الشرائع أوجزه عليه الصلاة والسلام بقوله " ثم استقم " .

فبهاتين الكلمتين أوجز عليه الصلاة والسلام البيان للدين كله .

وقوله " قل آمنت بالله " أي قل ذلك بقلبك معتقداً ولسانك متلفظاً ؛ كما قال أهل العلم : القول إذا أُطلق في القرآن والسنة يشمل قول القلب واللسان ؛ يشمل قول القلب عقيدةً وإيماناً ، وقول اللسان نطقاً وتلفظاً مثل قول الله عز وجل {قولوا ءامنا بالله} ، وقوله جل وعلا {إن الذين قالوا ربنا الله} ، ونظائر ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح "قولوا لا إله إلا الله تفلحوا" ؛ فالقول إذا أُطلق يشمل قول القلب عقيدةً وقول اللسان نطقاً ، فقوله " قل آمنت بالله " أي قل ذلك بقلبك معتقداً ولسانك متلفظاً ؛ .

والإيمان بالله هو الإيمان بوحديته جل وعلا في ربوبيته وأسماءه وصفاته وألوهيته ؛ ولهذا قال أهل العلم : للإيمان بالله أركان ثلاثة لا يكون العبد مؤمناً بها إلا بالإيمان بها ؛ وهي الإيمان بوحديته الله في ربوبيته ، والإيمان بوحديته الله في أسمائه وصفاته ، والإيمان بوحديته الله جل وعلا في ألوهيته لأنه المعبود بحق ولا معبود بحق سواه ، وأن يصرف له وحده العبادة دون شريك .

والإيمان بالله يقتضي الإيمان بكل ما أمر سبحانه وتعالى عباده بالإيمان به من الإيمان بالكتب والإيمان بالرسول والإيمان باليوم الآخر والإيمان بالملائكة والإيمان بالقدر؛ فمن لم يؤمن بهذه أو بشيء منها فهو ليس مؤمناً بالله لأن الإيمان بالله سبحانه وتعالى هو إيمان به وبكل ما أمر جل وعلا عباده بالإيمان به ؛ وبهذا يُعلم أن العقيدة كلها دخلت تحت قوله " قل آمنت بالله " .

" ثم استقم " : وهذا فيه جانب الشريعة والعمل بالطاعات وفعل الأوامر واجتناب المحرمات .  
" استقم " : أي كما أمرك الله بفعل الطاعات والعبادات واجتناب المحرمات والآثام .  
الاستقامة : هي لزوم الصراط المستقيم ، والمحافظة على طاعة الله جل وعلا ، والبعد عن ما حرم الله جل وعلا على عباده ونهاهم عنه .

" ثم استقم " أي كن ماضياً بعد ذلك على الاستقامة إلى أن تموت .  
فالدين له جانبان : جانب الاعتقاد وجانب الشريعة ، وكل منهما مطلوب من العبد ، وقد أوجزها عليه الصلاة والسلام بهاتين الكلمتين " قل آمنت بالله ثم استقم " .  
فإذا حققت هذين المطلبين وأتيت بهذين المطلبين جمعت لنفسك الخير .

والاستقامة هنا تتطلب من العبد المحافظة على الفرائض والعناية بها والبعد عن المحرمات ؛ ولهذا إذا تحدث الناس عن استقامة بعض الأشخاص - عندما يقولون فلان مستقيم . ؛ وهذه الكلمة أولى من كلمة شائعة في هذا الزمان فيقولون : فلان ملتزم ، فالأولى أن يُقال مستقيم ؛ فإذا أراد الناس التحدث عن استقامة شخص قالوا: فلان مستقيم - أو بالعارة الدارجة فلان ملتزم - يصلي محافظ على الصلوات ، ما يترك الصيام ، بعيد عن المحرمات .. وهكذا يذكرون أفعالاً من الشرائع يذكرونها صفة للشخص المستقيم ..

أو يقولون : فلان غير مستقيم لا يصلي ، أو يقولون غير مستقيم يشرب الخمر ، أو يقولون غير مستقيم يفعل كذا وكذا - من المحرمات . فترك الشريعة تخلٍ عن الاستقامة ؛ فقلوه "استقم" : أي كما أمرت بفعل المأمورات وترك المحرمات ؛ فهذه حقيقة الاستقامة أن يمشي على الصراط المستقيم ولا يروغ روغان الثعلب كما جاء هذا المعنى عن بعض الصحابة ؛ ما يتلون مرةً هنا ومرةً هناك ؛ بل يمضي على الاستقامة بفعل المأمور وترك المحذور .

فقلوه عليه الصلاة والسلام " قل آمنت بالله ثم استقم " وصية جامعة أوجز فيها عليه الصلاة والسلام بيان الدين كله في كلمتين .

قال الشيخ عبد المحسن :

[ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الناس حرصاً على معرفة الدين وهم أسبق إلى كل خير ، وهذا السؤال من سفيان بن عبد الله رضي الله عنه واضح في ذلك إذ سأل النبي صلى الله عليه وسلم هذا السؤال العظيم الذي يريد جوابه جامعاً واضحاً لا يحتاج فيه إلى أحدٍ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ] .  
الشرح..

من الفوائد التي تستفاد من هذا السياق أن سؤال سفيان رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم بقوله " قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك " ؛ هذا يدل على حرص الصحابة على الخير وشدة رغبتهم فيه وقوة اتجاههم إلى العمل وإلى ما ينالون به رضى الله سبحانه وتعالى ؛ فالسؤال يدل على همة عالية ورغبة صادقة في الخير ؛ ولهذا الناس يتفاوتون في الأسئلة ؛ فبعض الناس يُستشف من سؤاله رغبة صادقة في الخير ، وآخرون يُستشف من سؤالهم التفلُّت من الخير وعدم الحرص عليه ؛ ولهذا سؤال الحريص على الخير يختلف عن سؤال عدم الراغب ، وكلما علت همة الإنسان في الخير جاءت أسئلته رصينة متوائمة مع همته العالية ؛ وهذا يظهر في سؤال سفيان رضي الله عنه قال " قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك "

[ ثانياً : أجاب النبي صلى الله عليه وسلم هذا الصحابي بجواب قليل اللفظ واسع المعنى ، وهو من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم ؛ فقال " قل آمنت بالله ثم استقم " ؛ فأمره بأن ينطق بلسانه بإيمانه بالله الشامل للإيمان به سبحانه وتعالى وبما جاء عنه في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويدخل في ذلك الأمور

الظاهرة والأمور الباطنة لأن الإيمان والإسلام من الألفاظ التي إذا جُمع بينهما في الذكر قُسم المعنى بينهما ، وصار للإيمان الأمور الباطنة وللإسلام الأمور الظاهرة ، وإذا أُفرد أحدهما عن الآخر كما هنا شمل الأمور الظاهرة والباطنة ، وبعد إيمانه ويقينه وثباته أمر بالاستقامة على هذا الحق والهدى والاستمرار على ذلك كما قال الله عز وجل ﴿ يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ أي دوموا على طاعة الله وطاعة رسوله حتى إذا وافاكم الأجل يوافيكم وأنتم على حال حسنة ، قد بين الله عز وجل في كتابه ثواب من آمن واستقام فقال ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴾ ، وقال ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ﴾ [ .

### الشرح..

جواب النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الصحابي رضي الله عنه جواب وجيز من حيث اللفظ لكنه واسع من حيث المعنى ؛ وهذا مصداق لقوله عليه الصلاة والسلام " أُوتيت جوامع الكلم " معنى ذلك أنه صلى الله عليه وسلم يقول الألفاظ الوجيزة لكن المعاني التي تندرج تحت هذه الألفاظ والمضامين واسعة جداً ؛ فقوله " قل آمنت بالله ثم استقم " ؛ فتحت هذا اللفظ الوجيز دخل الدين كله عقيدةً في قوله " آمنت بالله " وشريعةً " ثم استقم " .

وهذا فيه لزوم الدين عقيدةً وشريعةً لأن الإيمان بالله هو إيمان به وبكل ما أمر جل وعلا عباده بالإيمان به من أمور الاعتقاد ، وقوله " ثم استقم " فيه لزوم الشريعة بفعل الأوامر واجتناب النواهي .

وقد جاء في القرآن في آيتين فيهما ثواب من كان كذلك ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم ﴾

؛ قال تعالى ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ﴾ متى هذا التنزل ؟

قيل عند الموت ، وقيل في القبر ، وقيل في عرصات يوم القيامة . وقد ذكر ابن كثير في تفسيره ما محصله أنه لا مانع أن تكون الآية متناولة لذلك كله ، والملائكة التي تنزل هي ملائكة الرحمة تحمل البشارة بالخير لمن كانت هذه حاله .

{أن لا تخافوا ولا تحزنوا} نفى الخوف والحزن ، والخوف والحزن إذا اجتماعا فإن الخوف يتعلق بالأمر الذي يستقبلها الإنسان وهو قادم عليها ، والحزن يتعلق بالأمر الذي تاركها الإنسان ومفارقها ؛ فقلوه { لا تخافوا ولا تحزنوا } أي لا تخافوا مما أنتم قادمون عليه ، ولا تحزنوا على ما أنتم تاركون له ، فأنتم قادمون على خير وما تركتموه فهو في حفظ الله جل وعلا .

في الآية الأخرى {إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا} {وأبشروا بالجنة} أي أن الملائكة تبشرهم بالجنة ، وهذه البشارة تكون عند الموت عندما تأتي الملائكة لقبض روحه يُبشر ؛ ولهذا بعض أهل العلم يقول لعله لذلك يُرى بعض الموتى يموت وأساريره مبتهجة ويظهر عليه الفرح والسرور ؛ فلعل ذلك من هذه البشارة العظيمة التي سمعها وأخبر بها .

{التي كنتم توعدون} يبشر بذلك عند قبض روحه وفي قبره وفي عرصات يوم القيامة . فهذا كله ثواب وثمار الإيمان بالله جل وعلا والاستقامة على دينه وطاعته إلى أن يموت الإنسان .

وقوله صلى الله عليه وسلم " ثم استقم " أي على الطاعة والعبادة إلى الموت ؛ وهذا يوضح لنا المراد في قوله تعالى {يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون} ، والإنسان لا يعلم متى يموت فيكون معنى الآية : استقم على طاعة الله إلى أن تموت فيتحقق منك ذلك الذي طُلب منك في الآية الكريمة .

**[ ثالثاً : مما يستفاد من الحديث :**

**الأول : حرص الصحابة على السؤال عن أمور دينهم .**

**الثاني : حسن السؤال من سفيان بن عبد الله رضي الله عنه الدال على كمال عقله ورغبته في الوصية الجامعة .**

**الثالث : الإيمان بالله وبما جاء في كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .**

**الرابع : ملازمة الاستقامة على الحق والهدى حتى بلوغ الأجل .**

\*.\*.\*

## الحديث الثاني والعشرون

عن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال  
أرأيت إذا صليت المكتوبات وصمت رمضان وأحللت الحلال وحرمت الحرام ولم أزد على  
ذلك شيئاً أدخل الجنة ؟ قال " نعم " . رواه مسلم  
ومعنى حرمت الحرام : اجتنبته .  
ومعنى أحللت الحلال : فعلته معتقداً حله .

### الشرح..

" فقال أرأيت " المراد بها أخبرني وأعلمني وبيّن لي .  
" إذا صليت المكتوبات وصمت رمضان وأحللت الحلال وحرمت الحرام ولم أزد على ذلك شيئاً أدخل  
الجنة ؟ " هل إذا فعلت ذلك أدخل الجنة ؟ هذا السؤال من الصحابي يدل على صدقة الرغبة  
في الجنة والحرص عليها ، ويريد من النبي عليه الصلاة والسلام أن يبين له أن هذه الأمور  
الجوامع العظيمة التي ذكرها في سؤاله إذا فعلها ولم يزد على ذلك ؛ هل يدخل الجنة ؟ تكون  
الجنة له مضمونة إذا واطب ولزم هذه الأمور ؟  
هذا يدل على الرغبة في الجنة والمعرفة في الأسباب الموصلة إليها .  
" إذا صليت المكتوبات " الصلوات الخمس التي كتبها الله سبحانه وتعالى على عباده وافترضها  
عليهم في كل يوم وليلة ؛ وهي صلاة الفجر ركعتين والظهر والعصر أربع والمغرب ثلاث  
والعشاء أربع ركعات ؛ فهذه هي الصلوات المكتوبات ؛ قال تعالى { حافظوا على الصلوات  
والصلاة الوسطى } وقال { إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً } فقوله " المكتوبات " : أي  
التي كتبها الله على عباده .  
فهذه الصلوات الخمس هي صلوات كتبها الله على عباده أي شرعها فرضاً لازماً على كل  
مسلم ومسلمة .

" وصمت رمضان " أي حافظت على صيام شهر رمضان ؛ وصيام رمضان هو الإمساك في  
نهار رمضان من طلوع الفجر إلى غروب الشمس تعبداً لله تبارك وتعالى عن المفطرات .  
فإذا حافظت على ذلك ، على هذه الصلوات الخمس في أوقاتها كما أمرني الله جل وعلا  
وكما بيّن لي رسوله عليه الصلاة والسلام ، وحافظت على صيام شهر رمضان .

" وأحللت الحلال وحرمت الحرام " قال النووي رحمه الله تعالى : معنى حرمت الحرام اجتنبته وأحللت الحلال أي فعلته معتقداً حله : والتعريف الذي ذكره تعريف جميل ونافع ؛ لكن يحتاج إلى زيادة مهمة ؛ وذلك في قوله : حرمت الحرام أي اجتنبته **معتقداً حرمة** ؛ لأن من يجتنب الحرام قد يجتنبه لعدم الرغبة فيه ، أو يجتنبه حفاظاً على صحته ، أو يجتنبه لكونه لا يميل إليه ، أو يجتنبه لأنه غير قادر عليه .. ؛ لكن إذا اجتنبه معتقداً حرمة ومتقرباً إلى الله سبحانه وتعالى بهذا الاجتناب ؛ دخل في عداد أعماله الصالحة وقرباته .

فقوله " حرمت الحرام " لا يكفي أن يقول اجتنبته بل لابد مع الاجتناب اعتقاد حرمة ؛ لأن الحرام هو ما حرمه الله ورسوله ومطلوب من المسلم أن يعتقد حرمة ما حرمه الله سبحانه وتعالى ورسوله ؛ ولهذا لو أن الإنسان اعتقد حلَّ ما حرمه الله ورسوله يكفر ولو لم يفعل ؛ فتحريم الحرام باعتقاد الحرمة واجتناب الحرام.

فهذا معنى قوله " حرمت الحرام " أي اعتقدت حرمة واجتنبته وابتعدت عنه ، وإن لم يعتقد الإنسان حرمة الحرام كفر ، وإن فعل الحرام فإنه يفسق ما لم يكن ذلك الحرام من الكفر الناقل من الملة .

" وأحللت الحلال " معناه أي فعلته معتقداً حله .

" ولم أزد على ذلك شيئاً أدخل الجنة قال النبي عليه الصلاة والسلام نعم " تدخل الجنة إذا فعلت هذا الذي ذكرت في سؤالك - صليت المكتوبات وصمت رمضان وأحللت الحلال واجتنبت الحرام - ولم تزد على ذلك شيئاً دخلت الجنة ..

وهنا قد يُستشكل عدم ذكر الزكاة - وهي فريضة - وكذلك عدم ذكر الحج ؛ فهذا أجاب عنه أهل العلم بأجوبة من أقربها ؛ ففيما يتعلق بالزكاة لعل النبي صلى الله عليه وسلم علم من حاله أنه ليس من أهل الزكاة ؛ لأن الزكاة مفروضة على الأغنياء وهو لا يملك نصاب الزكاة .

وفيما يتعلق بالحج فلعل النبي صلى الله عليه وسلم قال له ذلك قبل أن يُفرض الحج لأن الحج قُرِض في السنة التاسعة .

وبعض أهل العلم أجابوا عن ذلك بجواب آخر؛ وهو أن ذلك داخل تحت قوله " أحللت الحلال " .

فالشاهد أن هذه كلمات جامعة من اعتنى بها دخل الجنة ، وبهذا الحديث ونظائره يدرك المسلم أن دين الله جل وعلا دين يسر وسماحة كما قال عليه الصلاة والسلام " إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا " ، وقال في الحديث الآخر

" بعثت بالحنيفية السمحة " ؛ فديننا دين سمح ودين يسر ؛ ولهذا ينبغي عند الحديث عن سماحة الدين ويسره أن يُنطلق في هذا الباب من فوائد الدين ، فالدين هو نفسه يسر ، لا أن يأتي الإنسان يتفلسف من واجبات الشريعة باسم التيسير أو يباشر أنواعاً من الحرام باسم التيسير .. ، من غرائب ما سمعت في إحدى الدول قالوا عندنا جماعة يصفون أنفسهم بأنهم من أهل التيسير وأنهم أهل تيسير ؛ قلت ماذا عندهم من التيسير ؟ قالوا : يقولون في الأسبوع نصلي مرتين لأن الدين يسر !!

فبعض الناس يأتي إلى باب التيسير ويفهمه فهماً أعوجاً ، ويكون حقيقة التيسير عنده التفلسف من الواجبات ومباشرة المحرمات ، وأصبحت كلمة التيسير كلمة كل صاحب باطل يدخل من خلالها ما شاء من ترك واجب أو فعل محرم ؛ ولهذا تأتي كثيراً على ألسنة العصاة ؛ عندما يُنهى عن الحرام يقول : الدين يسر ، أو يترك واجباً فيُسأل ويقول : الدين يسر .. ؛ إذا كنت صادقاً في قولك الدين يسر ؛ فافعل يسر الدين لا تتفلسف لماذا تقول الدي يسر ثم تتفلسف من هذا اليسر ؛ فهذا من التناقض .

فدين الله جل وعلا دين يسر ، وما جعل الله سبحانه وتعالى على عباده من حرج ، وفهم يسر الدين ينبغي أن يكون مضبوطاً بقواعد الشرع ، مثلما قال هذا الصحابي رضي الله عنه "صليت المكتوبات وصمت رمضان وأحللت الحلال وحرمت الحرام أأدخل الجنة ؟ قال نعم"

هذا من الأحاديث العظيمة الجامعة التي تبين للناس يسر هذا الدين ، وأن الواجب على المسلم أن يحافظ على أعمال الإسلام وفرائضه وواجباته وأن يبتعد عن المحرمات . والرتبة التي ذكرت في هذا الحديث والتي سأل عنها هذا الرجل ؛ هي رتبة المقتصد من عباد الله ؛ لأن أهل الإسلام أقسامهم ثلاثة وهذه الأقسام الثلاثة جاءت مبينة في آية واحدة: قال تعالى ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها﴾ فذكر جل وعلا أقساماً ثلاثة : الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات ؛

أما الظالم لنفسه فهو من ترك بعض الواجبات وفعل بعض المحرمات دون الكفر بالله ؛ فهذا ظالم لنفسه أي ظلمها إما بترك واجب أو بفعل محرم دون أن يصل إلى حد الكفر بالله .  
والمقتصد : أي الذي اقتصر على فعل الواجبات وترك المحرمات ؛ مثل ما جاء في هذا السؤال الذي طرحه هذا الصحابي .. حد واجب ومن اقتصر عليه كان من المقتصدين .

وهذا الحديث يعتبر دليلاً على أن المقتصدين يدخلون الجنة بغير حساب ؛ يدخلون الجنة دخولاً أولاً دون حساب ؛ لأن الذي يحاسب ويكون عرضة لدخول النار الظالم لنفسه بترك واجب أو فعل محرم ، أما الذي فعل الواجبات وترك المحرمات فهذا يدخل الجنة بدون عذاب وبدون حساب لأنه أتى ما أوجب الله عليه وترك ما حرم الله عليه لكن النوافل والرغائب والمستحبات لم تنهض همته لفعلها ؛ وهي أمورٌ إن فعلها أثيب وعلت درجته عند الله ، وإن لم يفعلها لم يُعاقب .

والسابق بالخيرات : هو أعلى هؤلاء ؛ وهو من أضاف إلى فعله للواجبات وتركه للمحرمات المنافسة في الرغائب والمستحبات والبعد عن المكروهات ؛ فهذا بلغ رتبة السابق بالخيرات .  
فإذاً الذي بُيِّن في هذا الحديث هو رتبة المقتصد ؛ والمقتصد هو الذي يفعل الواجب ويترك المحرم ، ومن فعل الواجب وترك المحرم فإنه يدخل الجنة .  
" قال أدخل الجنة " أي أدخل الجنة ؟ استفهام . قال نعم ..

ولهذا يجب على الإنسان أن يتقي الله عز وجل وأن يهتم بالواجبات اهتماماً عظيماً وهي سهلة يسيرة ، وأن يتجنب المحرمات والكبائر ؛ فإذا وازب على الواجبات وترك المحرمات ؛ يوم القيامة يدخل الجنة بدون حساب ولا عذاب ، وإن كان الله أكرمه ونشطت نفسه وعلت همته لفعل الرغائب والمستحبات ؛ علت بذلك منزلته في الجنة { ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون } .

قال الشيخ عبد المحسن العباد :

[ الأول : جاء في بعض طرق الحديث في صحيح مسلم تسمية الرجل السائل النعمان بن قَوْقَل .

الثاني : قول السائل معناه أخبرني إذا فعلت هذه الأمور أدخل الجنة ؟

يعني هذا السائل معنى سؤاله : هل إذا فعلت هذه الأمور المحددة التي ذكرتها في سؤالتي هل أدخل الجنة ؟ ، قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم

الثالث : الأمور التي سألت عن دخوله الجنة إذا فعلها الصلاة والصيام وإحلال الحلال وتحريم الحرام وليس فيها ذكر الزكاة والحج ، فيحتمل أن الحج لم يُذكر لأنه لم يكن قد فرض ، ولم تُذكر الزكاة لاحتمال أن يكون فقيراً ليس عنده مال يُزكى ، ويحتمل أن تكون الزكاة والحج داخلين تحت إحلال الحلال وتحريم الحرام .

هنا جاء في سؤال السائل رضي الله عنه ذكر الصلاة والصيام وإحلال الحلال وتحريم الحرام الذي ورد في السؤال أمور أربعة وليس فيها الزكاة والحج مع أن الزكاة مفروضة والحج أيضاً فرضه الله على العبد مرة واحدة في العمر كله ، فما الجواب على ذلك قال أهل العلم الحج لم يُذكر لأنه لم يفرض وقت إذ ، ولم تُذكر الزكاة لاحتمال أن يكون الرجل فقيراً ليس عنده ما يُزكى أو ليس عنده مال يُزكى ويحتمل أن تكون الزكاة والحج داخلين تحت إحلال الحلال وتحريم الحرام

رابعاً : في الحديث فيه ذكر القيام بالواجبات وليس فيه ذكر المستحبات ، ومن كان كذلك فهو المقتصد في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ﴾ ، وفعل الواجبات وترك المحرمات سبب لدخول الجنة ، لكن الإتيان بالنوافل مع الفرائض يكمل بها الفرائض إن لم يكن أتمها ؛ وجاء في ذلك حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه ، وأيضاً فالنوافل كالسياج للفرائض ومن كان محافظاً عليها كان أشد محافظة على الفرائض ومن تساهل فيها قد يجره ذلك إلى الإخلال بالفرائض [ .

### الشرح..

هذا الحديث دُكرت فيه أمور الدين الواجبة التي من فعلها كان من المقتصدين ، والمقتصد هو الذي فعل الواجب وترك المحرم ؛ ولكن ينبغي هنا على العبد أن يُعوّد نفسه وأن يمرنها على الرغائب والمستحبات ؛ لأن لها فوائد عظيمة من أهمها :

أولاً : أن المستحبات تكون له سياجاً بإذن الله واقياً بالمحافظة على الفرض والبعد عن الحرام  
ثانياً : أن فيها جبراً للنقص الذي قد يكون من الإنسان بفعله للفرائض ، والإنسان قد  
يصلي وليس له من صلاته إلا ربعها إلا عشرها إلا خمسها .. كما جاء في ذلك الحديث عن  
النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا الذي صلى وليس له من صلاته إلا ربعها إلا عشرها ؛ أدى الفرض  
لكن عمله فيه نقص ؛ فإذا أتى بالنوافل والرغائب والمستحبات كان فيها جبراً للنقص الذي  
في المكتوبات ؛ ولهذا يشرع لنا بعد الصلاة بعد أن نسلم أن نقول مباشرة : أستغفر الله  
أستغفر الله أستغفر الله - ثلاثاً . من الحكم في ذلك ما قاله أهل العلم أن في هذا الاستغفار  
جبراً للنقص الذي يكون في الصلاة .

ثالثاً : لكونها سبباً في علو درجته يوم القيامة .

فهذه الأسباب الثلاثة تجعل الإنسان الحريص الناصح لنفسه يعتني بالمستحبات إضافة إلى  
عنايته بالفرائض والواجبات .

### [ خامساً مما يستفاد من الحديث :

الأول : حرص الصحابة على المحافظة على الأعمال التي تدخل الجنة .

الثاني : أن الأعمال سبب في دخول الجنة .

الثالث : بيان أهمية الصلوات الخمس ، وقد جاء في الحديث أنها عمود الإسلام.

الرابع : بيان أهمية صيام رمضان .

الخامس : أن المسلم يُحلّ الحلال معتقداً حله ، ويجتنب الحرام معتقداً حرمة.

السادس : بيان بطلان قول من زعم من الصوفية أن الإنسان لا يعبد الله رغبةً في الجنة وخوفاً

من النار ؛ وقد قال عن خليله { واجعلي من ورثة جنة النعيم } .

### الشرح..

هذه عقيدة موجودة عند بعض الضُّلَّال ؛ يقولون : نحن نعبد الله لا رغبةً في ثوابه ولا  
خوفاً من عقابه ؛ بل نعبد الله حباً فيه لا رغبة في الثواب ولا خوف العقاب ؛ وهذه لو  
سمعها الجاهل الذي لا بصيرة له في الدين ربما استحسناها ؛ ربما قال : هؤلاء على درجة عالية  
من التدين ، عبادتهم لله فقط حباً في الله ، لا يريدون ثواباً ولا يخافون من عقابه .. ؛ لكنها

كلمة في ظاهرها وباطنها الضلال المحض والمخالفة لنهج النبیین وصراطهم المستقیم ، ونبينا عليه الصلاة والسلام لما قال ذلك الرجل " إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ " - يعني الأذكار التي تأتون بها والدعوات - ؛ قال " ماذا تقول ؟ " ، قال أقول : اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم " ونحن حولها ندندن " ؛ يعني أعمالنا وطاعاتنا وعباداتنا وقرباتنا ؛ كل ذالكم دندنة حول الجنة والنار ، إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام يقول في دعائه { واجعلي من ورثة جنة النعيم } ، قال عليه الصلاة والسلام لعائشة رضي الله عنها :

" عليك بكوامل الدعاء " ثم بينه لها ؛ وفيه : " اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل " ، وكان أكثر دعاء نبينا " اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار " ، وكثيراً ما يأتي في دعاءه سؤال الله تبارك وتعالى الجنة والاستعاذة به من النار .

وكلنا نعلم أن عبادة الأنبياء هي العبادة الصحيحة ، وأنهم أكمل الخلق عبادةً لله ؛ فإذا جاء أحد هؤلاء وقال : أنا أعبد الله حباً فيه ، لا رجاء فيه ولا خوفاً من عذابه ؛ نقول : هذا ضلال وانحراف عن دين الله ؛ الله تعالى يقول { أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً } ، وقال عن

الأنبياء { إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهبا } ؛ فهذا دين الأنبياء وطريقتهم وهذه طريقة الصالحين والكمّل من عباد الله جمعوا بين الحب والرجاء والخوف ؛ ولهذا قال أهل العلم : التقرب إلى الله بالصلاة أو الصيام أو أي طاعة ؛ لا بد أن يُقام على أركان ثلاثة - يسميها أهل العلم أركان التعبد القلبية - لا بد أن تكون موجودة معك في كل طاعة ؛ وهي الحب والخوف والرجاء ؛ لماذا تصلي ؟ لأني أحب الله وأرجو ثوابه وأخاف من عقابه ، لماذا تصوم ؟ لأني أحب الله وأرجو ثوابه وأخاف عقابه ، لماذا تحج ؟ لأني أحب الله وأرجو ثوابه وأخاف من عقابه ؛

يقول تعالى { أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب } هنا الحب ، { ويرجون رحمته } هنا الرجاء ، { ويخافون عذابه } هنا الخوف ؛ وهذه الأركان الثلاثة اجتمعت في سورة الفاتحة في قولك { الحمد لله رب العالمين } هذا الحب - لأن الحمد هو الشاء مع الحب . ، { الرحمن الرحيم } فإذا قرأتها متأملاً متدبراً يحضر في قلبك الرجاء { ويرجون رحمته }

وإذا قرأت {مالك يوم الدين} قال تعالى {وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله}؛ فإذا قلت {مالك يوم الدين} . أي يوم الجزاء والحساب والعقاب . ما الذي يتحرك في قلبك ؟ الخوف ،

بعدها قال {إياك نعبد} أي إياك نعبد يا الله بالحب الذي دلّ عليه قوله {الحمد لله رب العالمين} ، وبالرجاء الذي دلّ عليه قوله {الرحمن الرحيم} ، وبالخوف الذي دلّ عليه قوله {مالك يوم الدين} ، فالله عز وجل يُعبد حباً فيه ورجاءً لثوابه وخوفاً من عقابه .

ولهذا بعض العلماء الأولين يقول : من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ، ومن عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجئ ، ومن عبد الله بالخوف وحده فهو حروري . أي من الخوارج . ، من عبد الله بالخوف والرجاء فهو مؤمن موحد .

وهذا الحديث من الشواهد على بطلان هذه العقيدة الفاسدة التي يعتقدونها بعض الضلال أنهم يعبدون الله حباً فيه لا طمعاً في ثوابه ولا خوفاً من عقابه .

ولما وجدت هذه العقيدة عند هؤلاء الضلال أصبح عندهم استخفاف بأمر الجنة وأمر النار واستهانة بهما ، وعقيدته هذه تملي عليه عدم المبالاة من الجنة ، وعدم الاكتراث من النار وعدم الخوف ؛ فلما أصبحت عنده هذه العقيدة أفسدت عليه عمله وضيعته وأصبح أمر الجنة والنار شيء يستخف ويستهان به ؛ ولهذا بلغ بعض هؤلاء مبلغاً خطيراً في الزندقة والردة عن دين الله جل وعلا ، مثل أحدهم يقول لأتباعه لا عليكم يوم القيامة أبصق على النار تصبح حشيشاً أخضراً هذا استخفاف وليد مثل هذه العقائد الزائفة المنحرفة الباطلة ، فعبادة الله ل بد أن تقوم على هذه الأركان الثلاثة – الحب والرجاء والخوف – نعبد الله حباً فيه ورجاءً لثوابه وخوفاً منه على حد قوله جل وعلا {أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه} .

سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، اللهم صلّ وسلّم على عبدك ورسولك نبينا محمد و آلّه وصحبه

\*.\*.\*